بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم أما بعد،

فإن يوم القيامة يوم عظيم شأنه، مديد زمانه، شديد هوله، مفزع كربه، لا يلاقى للعباد يومًا مثله. ومن رحمة الله بنا أن حذرنا من شر هذا اليوم المستطير، وخطره العظيم الكبير فقال ربنا الحكيم الخبير ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ (الحشر: ١٨).

وقال جل ذكره: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ (البقرة: ٢٨١). ذلكم اليوم الذي تخشع فيه الأصوات، وتشخص الأبصار، وترتجف فيه القلوب حتى تكاد تفرج من الصدور، ويشيب الصغير لشدة هوله، وتذهل المرضعة عن رضيعها، وتسقط الحامل جنينها، ويتبرأ الوالد من ولده والولد من والده وكل حميم من حميمة لينجو بنفسه. هذا اليوم آت لا ريب فيه، ونحن بين يدي الله ﷻ، وعن كل أعمالنا مسئولون، فأعد من الآن للسؤال جوابًا وللجواب صوابًا فقد اقترب ذلك اليوم ولكن أكثر الناس في غفلاتهم غارقون، وفي غياهب الشهوات معبوسون، وعن ذكر الله وطاعته معرضون كأنهم لا يعلمون! قال ربنا جل جلاله: ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ (الأنبياء: ١). لذلك رأينا العلماء العاملين، والعباد المخلصين من السلف الصالحين يفزعون من ذكر هذا اليوم، ويقلقون من

وقوفهم بين يدي ربهم فأطال خوفهم منه نومهم في الليل فقاموا بين ربهم سجدًا وقيامًا، وأرق عيشهم في النهار فقضوا أكثر الأيام صيامًا ومع كل ذلك يخافون ويحذرون من أهوال ذلك اليوم العظيم.

هذا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه **يقول عن نفسه**: إن ها هنا رجلًا ودَّ لو أن القيامة قامت أن لا يُبعث.

وهذا عثمان بن عفان يقول: وددت أني إذا مت لا أبعث.

وبكى مسعد بن كدام يومًا فقالت له أمه: ما يبكيك يا بني؟ فقال: يا أماه لمثل ما نهجم عليه غدًا فلنطل البكاء قالت: وما ذاك؟ فانتخب فقال: القيامة وما فيها ثم غلبه البكاء فقام.

وقال الحسن البصري: يحق لمن يعلم أن الموت مورده وأن الساعة موعده، وأن القيام بين يدي الله مشهده أن يطول حزنه. وتنفس الحسن البصري مرة تنفسًا شديدًا ثم

بكى حتى رعدت منكباه ثم قال: لو أن بالقلوب حياة، لو أن بالقلوب صلاحًا لبكيتم من ليلة صبيحتها يوم القيامة. إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما أسمع الخلائق بيوم قط فيه عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيامة.

وكان سفيان الثوري إذا أخذ في الكلام عن الآخرة يبول الدم.

وقال هرم بن حيان: وددت والله أني شجرة أكلتني ناقة ثم قذفتني بعدًا ولم أكابد الحساب يوم القيامة إني أخاف الداهية الكبرى.

وكان الفضيل بن عياض يقول: لو خيرتُ أن أعيش وأموت كلبًا ولا أرى يوم القيامة لاخترت ذلك.

وهذا الأمام عبد الله بن وهب: ألف كتابًا عن أهوال القيامة فلما قرئ عليه الكتاب خرَّ مغشيًا عليه فلم يتكلم بكلمة حتى مات بعد أيام.

وقال الفضيل: ما أغبط ملكًا مقربًا ولا نبيًا مرسلًا يعاين القيامة وأهوالها ما أغبط إلا من لم يكن شيئًا.

إن البون بيننا وبينهم كبير والفارق عظيم. ما الذي علمه هؤلاء وجهلناه؟! ويا ترى ما الذي عرفوه من الدين لم نعرفه نحن؟! أليس القرآن هو القرآن والسنة هي السنة، والدين هو الدين؟! فما هذه القسوة في قلوبنا؟! وما هذا الجمود في عيوننا؟! إننا نحتاج في هذا الزمان إلى وقفة حتى نقف على حقيقة أمرنا، وسبب هذه الغفلة التي رانت على قلوبنا. تعالوا إخوتي نقلق القلوب بذكر يوم القيامة حتى تصل إلى الأمان فيه فقد قال رسول الله ﷺ: قَالَ اللهُ تَعَالَى: «**وعزتي لا أجمع لعبدي أمنين ولا خوفين إن هو أمنني في الدنيا أخفته يوم أجمع فيه عبادي وإن هو خافني في الدنيا أمنته يوم أجمع فيه عبادي**»[1].

---

(1) رواه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني كما في الصحيحة رقم ٧٤٢.

وهـذه كلـمات مختـصرة في الحـديث عـن هـذا اليـوم العظيم لعل النفوس ترتدع عن غيها وتشوب إلى رشدها وتعود إلى ربهـا. فأحـضر سـمعك وقلبـك وحُـم حـول الكلمات بقلبك وتدبر الآيات والأحاديـث الـصحيحات لتغرس في قلبك معاني عظيمة وفضائل كريمـة، والموفـق من وفقه الله، والسعيد من عـرف معنـى الحيـاة وحقيقـة الحيـاة فعـاش في هـذه الـدنيا عـلى مـراد الله وسـنة نبيـه ومصطفاة. جعلني الله وإياكم من الموفقين ورزقنـا الفـوز بالجنة والنعيم القيم. والحمد لله رب العالمين.